وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات الرؤية القرآنية في التعايش السلمي

اسم الباحث/ـة

أ.د/ محمد الناصري

بسم الله الرحمن الرحيم

مـقـدمـة

على سبيل التقديم:

مما لا شك فيه أن عالمنا المعاصر يحظى بتطور وثروة غير مسبوقة، يستحيل تخيل ذلك منذ قرن أو قرنين؛ إذ شهد العالم في العقود الأخيرة تحولات مهمة على النطاق الاقتصادي وعلى مستوى التنظيم السياسي وعلى صعيد التطور العلمي الذي حقق نتائج باهرة ماديا أفادت الإنسانية، وحلت معضلات بشرية كانت إلى عهد قريب من قبيل المستحيلات،

كذلك أصبحت المجتمعات وأقطارها المختلفة أكثر تقارباً مما كانت، ولم يقتصر هذا كله على مجالات الاقتصاد والاتصال، بل أيضاً في ضوء الأفكار والمثل العليا في تفاعلها.

ومع هذا كله نعيش أيضاً في عالم يعاني مظاهر قاسية من الحرمان والقهر، وظهرت أزمات كثيرة؛ وهي أزمات عالمية بقدر ما هي شاملة، إذ تضرب في غير مكان وعلى غير صعيد من صعد العمل الحضاري والنشاط البشري.

وأصبح من تكرار القول: الكلام عن المأزق الوجودي الراهن كما تشير إليه عناوين المؤلفات والمقالات التي تتناول الوضع البشري مثل: الصدمة، الرعب، النهاية، السقوط، الانحلال، العدمية،

إلى أن أصبح عنوان: "**العالم في أزمة**" من أكثر العناوين شيوعاً وتداولاً.

فإذا تمعنا جلياً في كل ما يشهده كوكب الأرض من تصادم وحروب ومجاعات وأزمات وكوارث، فإننا نجد أن كل الاحتمالات المطروحة أمامنا لا تنذر إلا بخطورة الوضع. والبشرية مهددة بأكملها إذا لم تستدرك، وبسرعة، المخاطر التي تتهددها.

إن وجه الخطورة الذي نتحدث عنه يتمثل في المشكلات الآتية:

١. تفشي النزاعات الدولية، وصولاً إلى الحروب الداخلية والإقليمية التي تجتاح العالم، وقد عجزت منظمة الأمم المتحدة في إيجاد حلول لكثير من النزاعات القائمة نتيجة قصورها الذاتي، وهيمنة بعض الدول على سياساتها.

٢. -تهديد البيئة الطبيعية بالتلوث والتصحر وارتفاع درجة الحرارة، فضلاً عن تآكل الموارد والثروات الطبيعية وسط حمى التنافس المادي المفرط بين القوى الدولية.

٣. الانحراف في تسخير العلم والمعرفة، فبدلاً من تسخير العلم لإسعاد الناس ومعالجة مشكلاته صار العلم والمعرفة يسخران لتصنيع وسائل الدمار الشامل وغيرها مما يهلك الحرث والنسل.

٤. -تدهور القيم الروحية والإنسانية إلى درجة مخيفة، من أبرز مظاهرها الاعتداءات الصارخة على حقوق الإنسان الفردية والجماعية في أكثر من منطقة في العالم. وتبدو كل الجهود التي تبذلها منظمة الأمم المتحدة غير ذي جدوى في إيجاد حلول ناجعة لوقف هذه الاعتداءات وفق مبادئ العدل والمساواة، لتتفشى الكراهية وجميع أنواع التهديد للسلم والأمن العالميين[١].

إجمالاً: ثمة إحباط عام يلف الأسرة الدولية من جراء الوعي بخسارة المستقبل. نعم هناك خوف على المستقبل، وخوف مما قد يحمله مستقبل الجماعة الدولية من تدهور أمني، ومشكلات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ،

[١] محمد الناصري، استراتيجية المشتركات القيمية واستراتيجية دار الإسلام. م، التفاهم، سلطنة عمان، ع، ٤٤، س ٢٠١٤م، ص ١٣.

الأمر الذي أدى إلى طرح أخطر سؤال نعرفه في العصر الحديث: الإنسانية إلى أين؟. مما يشي بأن تحقيق حلم السلام العالمي مطلب صعب المنال. وإذا كان الأمر كذلك؛ فماذا عن أقصر الطرق التي يمكن السير على دربها للوصول إلى أقرب نقطة من هذا الحلم البشري حلم سيادة السلام العالمي حول الأرض؟. وبتعبير آخر: ما هو سبيلنا تضامنيا إلى منع تفاقم هذه الأزمات، ومنع انهيار فرص التعاون ما بين الأمم والشعوب والدول كي لا يستمر الوضع الإنساني في الانحدار للأسوء والأخطر؟.

نعتقد أن تعزيز الوعي بثقافة التعايش السلمي كفيل بتحقيق السلام والأمن والعدالة والتعاون الإنساني، وأن لا غنى عن تعزيز ذلك من منطلق التأكيد على هدايات القرآن الكريم في التعايش السلمي التي هي مشتركات قيمية تجمع بين مكونات المجتمع الإنساني على اختلاف أديانهم وثقافاتهم، باعتبارها استراتيجية كفيلة بأن توحد بين الناس، وأن تدفعهم نحو التفكير في حلول جماعية لتجاوز أزمات واقعهم في الحاضر والمستقبل.

أولاً: التعايش السلمي: المفهوم والدلالات

نقترح من خلال هذه المشاركة، مقاربة تأصيلية لمفهوم التعايش السلمي، عن طريق رصد أسس ومبادئ القرآن الكريم في التعايش السلمي. ويجدر بنا في البداية التوقف لحظة عند مفهوم التعايش السلمي، لفحص ما يمكن أن يحمله من دلالات خاصة في التداول العربي الإسلامي.

نعلم أن كلمة "التعايش" في اللغة العربية تدل على الأُلفة والمَوَدَّةِ والوئام(١). فهو مصدر عاش يعيش عيشا، والعيش الحياة، يقال عايشه بمعنى عاش معه، كقوله: عاشره، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا"(٢) أي ملتمساً للعيش، والعيش المطعم والمشرب وما تكون به الحياة.

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش نجد في المعجم الوسيط: "تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة، ومنه فالتعايش السلمي...وعايشه، عاش معه"(٣).

هكذا يتضح أن مصطلح العيش يتمحور حول معنى الحياة والمودة والألفة، وأن التعايش في مدلوله اللغوي العام، وفق ما تقتضيه صيغة التفاعل بمعنى أن يعيش البعض مع البعض الآخر على ذلك.

إن التعايش في مفهومه الاصطلاحي يعني أن يكون هذا العيش المتبادل قائماً على المسالمة والأمان، والتعاون والاطمئنان وقبول الآخر بكل مكوناته ومعتقداته، ومنحه حقوقه والمحافظة على كرامته، ولذلك غالباً ما ينعت بالسلمي كما هو الشأن بالنسبة لهذا الموضوع، وإن كان هذا المصطلح وليد ظروف اجتماعية وسياسية حنت فيها البشرية إلى الأمن والسلام خاصة بعد

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط، السادسة، ١٩٩٧م، مادة عيش

(٢) سورة النبأ، الآية ١١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ج ٦ (ص٣٠٦٣٩)

الحرب العالمية الثانية، ورأت فيه البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المتباينة [1].

ونشير إلى أن كلمة "تعايش" تُتداول أيضاً في لغتنا العربية بوصفها مقابلاً لكلمة "coexistence" المتداولة في اللغات الأوربية. وعن الدلالة العامة لهذه الكلمة في سياقها اللغوي الأصلي؛ فهي تشير إلى: خلق جو منَ التفاهم بين الشعوب بعيدا عن الحرب والعنف، والتعايش احترام الآخرين وحرياتهم والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد والقبول بها، وتقدير التنوع الثقافي.

السؤال الذي يفترض بنا الإجابة عنه هو، هل هذه الدلالات الأجنبية لمفهوم التعايش غائبة عن الثقافة العربية الإسلامية؟ بحجة أن التعايش لم يرد لفظاً في القرآن؟. الجواب بالسلب طبعاً. ذلك أن ما يفيد أو ما يقارب المعاني السابقة للتعايش، قد جاءت واضحة بينة، حين تمت الدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية إلى: الصفح والعفو والرحمة، والمغفرة، والتعارف، والتعاون، والسلم، والأمن، وعدم الإكراه والحق في الاختلاف واعتبار ذلك من سنن الله في الخلق... وكلها من صفات "**التعايش السلمي**".

أكثر من هذا، لا يكتفي القرآن الكريم بتعليم المسلمين هذا التعايش الذي يمثل حاجة ضرورية للمجتمع الإنساني المعاصر. إنما يطلب منهم الالتزام بالسلوك العادل الذي لا يقبل بالآخر فحسب، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية، وخير وصف يمكن أن نطلقه على هذا التعايش، أنه تعايش إيجابي وليس تعايشاً حيادياً

---

[1] رشيدة بوخبرة، التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، ع ١٢، يناير ٢٠١٨م، ص ٧.

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

الآية الكريمة، تشي بأن التعايش هنا فعل إيجابي وتوجه صادق نحو الآخر، لا موقف سلبي اضطراري. والمعايشة لغة واقعة في حقل دلالي تجاورها فيه المساهلة والاقتراب والمداناة ، والموالاة ،والملاينة، والمودة والوئام.

ولأن الأمر لا يتوقف عند النصوص دون تمثلاتها، ولا عند المفاهيم دون ما الوقائع التاريخية التي تتجلى بها. فإن السؤال المشكك في غياب "**التسامح**" في الثقافة العربية الإسلامية، يفرض علينا التعرف على مفهوم التسامح لا بالتعبيرات الإنشائية في عمومها وتجريدها، ولكن يفترض منا ذلك، التعرف عليه من واقع الممارسة الاجتماعية للمفهوم، إشارة منا إلى أن معارفنا عن المجال النظري في ذاته لا تكاد تكتمل، أو تصل إلى الغايات الإنسانية المنشودة، إلا إذا اقترنت بالبحث في واقع الممارسة وفي سياقها العملي المعيش وحسب مآلاتها في التطبيق.

لذلك آثرنا في هذه المشاركة الحديث عن هدايات القرآن الكريم في التعايش السلمي من خلال تناولنا للأسس والمبادئ القرآنية الحاكمة للتعايش السلمي والقيم القرآنية الداعية إلية والداعمة له.

[1] سورة الممتحنة، الآية ٨.

ثانياً: مستويات التأصيل القرآني لمفهوم التعايش السلمي

معلوم أن المجتمعات التي تقدمت الإسلام مجتمعات حروب وعنف فقد وجه الإسلام أول نداء عالمي للسلام إلى كافة البشر مخاطباً الأسرة العالمية بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [1]"، نداء تحتمه وتقتضيه الخصائص الذاتية والسمات الكلية التي تتصف بها الأمة الإسلامية والتي تحصل في كونها أمة الخيرية والشهادة والوسطية والعالمية.

بناء على هذه المسلمة، جاءت نصوص القرآن الكريم متضمنة لمجموعة من المبادئ والأسس، باعتبارها محددات منهاجية يقوم عليها بناء التعايش السلمي في القرآن الكريم وتنظم علاقة المسلمين بغيرهم وترسم حدود هذه العلاقة وتضبط حركتها وتوجه مسارها نحو تحقيق معاني الإخاء والعدل والمساواة في العلاقات الإنسانية، ليتحقق السلم والسلام للإنسان في القرية العالمية.. ليثور التساؤل حول ماهية هذه المبادئ التي تشكل الأطر المرجعية، والوحدة القياسية التي يتم الاحتكام إليها في شأن تقييم ذلك ؟ .

باستقراء[2] آيات القرآن الكريم المتعلقة بأصول الرؤية القرآنية للعالم والمبادئ الحاكمة للتعايش السلمي في الإسلام، يتضح أن تلك الأصول والمبادئ تنسجم وخصائص الأمة الإسلامية، إذ تتحصل هذه وحسبما تشير إليه آيات

---

[1] سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

[2] استقراؤنا –هذا– استقراء ناقص وليس تاما، إذ سنكتفي بإيراد ما يكفي من الشواهد القرآنية في كل مبدأ، مراعين وحدة القرآن البنائية غير مخلين بها.

القرآن في مبدأ التوحيد وما يفترضه من نبذ التجزئة والصراع، وما يقتضيه من إيمان واعتراف بالديانات السابقة للإسلام، مما يقوي فرص السلام ويدعمها. ومبدأ العالمية وما يقتضيه من دعوة بالتي هي أحسن وحوار بناء وانفتاح على الآخر مما يدعم علاقات التعاون والتعايش السلمي بين الشعوب والأمم. **ونعرض فيما يلي نعرض –بشيء من التفصيل– لأهم هذه المبادئ الحاكمة لبناء التعايش السلمي في القرآن الكريم.**

أ– مبدأ عقيدة التوحيد، وسلام الإنسانية:

تشكل عقيدة التوحيد –بما تعنيه من الإقرار والاعتراف النابع من يقين بأحدية الله تبارك وتعالى ووحدانيته وتفرده سبحانه في كل ما هو مختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والإقرار بانتفاء أضدادها ومنافياتها عنه جل شأنه–، جوهر الإسلام.

والتوحيد جوهر الإسلام ليس لكونه الأساس الذي يقوم عليه بناؤه فحسب، ولكن لأنه يقدم تصوره للوجود ونظرته العامة إلى الإنسان والكون والحياة.

ذلك "أن التوحيد إذا خالطت بشاشته القلب، واستيقنه الضمير، واستنار به القلب، واستضاء به الوجدان، انعكس على سائر جوانب الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية.

إن التوحيد يمثل –آنذاك– منطلق العلاج الشافي لكل أمراض ومشكلات وأزمات الحياة والأحياء، بل والأشياء. إنه –آنذاك– ينعكس على الفكر فيقيمه، وعلى التصور فينقيه، وعلى الاعتقاد فيصححه ويطهره، وعلى الوجدان فيحرره، وعلى السلوك فيعدله، وعلى الخلق فيحسنه، وعلى الحياة

فيجعلها حياة طيبة، وعلى نظم الحياة فيجعلها صالحة قائمة على الهدى والحق والعدل والأمانة، وتساوي الخلقية ووحدتها، ووحدة الحقيقة ومناهجها.

بناء عليه فإن المنطلق الأساسي الأول المستوعب لكل المبادئ المؤسسة لرؤية القرآن للعالم والوجود ونظرية التعايش السلمي في الإسلام؛ تنبع من أصل عقيدي إيماني هو التوحيد، فكيف يؤثر التوحيد على رؤية العالم؟

وكيف يرسم –أي التوحيد– التعايش السلمي؟

الواقع أن عقيدة التوحيد تنشر ظلال السلم والسلام في أكثر من مجال، فالإنسان حين يستجيب لنداء التوحيد، يدخل في عالم كله سلم وكله سلام، عالم كله ثقة واطمئنان وكله رضا واستقرار، لا حيرة ولا قلق، ولا شرود ولا ضلال، سلام مع النفس والضمير، سلام مع العقل والمنطق، سلام مع الناس والأحياء، سلام مع الوجود كله ومع كل موجود، سلام يرف في حنايا السريرة، وسلام يظلل الحياة والمجتمع، سلام في الأرض، وسلام في السماء.

وبهذا فالسلم والسلام جوهر عقيدة التوحيد التي هي جوهر الإسلام، ليغدو معه –وبناء على كل ما سبق– إنسان التوحيد، إنساناً صالحاً مصلحاً، محباً للخير ساعياً إليه، كارهاً للشر دافعاً إياه، أهلاً للتعايش السلمي مع عامة الناس على اختلاف أديانهم ولغاتهم وألوانهم وأجناسهم وأوطانهم.

فإنسان التوحيد في علاقاته بغيره يتحرك وينفعل معهم، لكي يحدث في غيره ايجابيا، فيقلب أوضاع الغير من جوع إلى شبع ومن جهل إلى علم، ومن عدم أمن إلى طمأنينة وسلام في نكران تام للذات ونأي بها عن كل أنانية بغيضة أو استعلاء مقيت، لأن نفسه معدلة بالتوحيد.

ويفيد –أي التوحيد– أن المؤمنين هم في الحقيقة جماعة أخوة واحدة، يحب بعضهم بعضا في الله ويتواصون بالحق والصبر، ويعتصمون بحبل الله جميعاً ولا يتفرقون، ويأمرون بالمعروف، و ينهون عن المنكر. والأمة أخوة شاملة لا تعبأ

باللون أو الهوية العرقية. وفي حدود هذه الرؤية، يكون جميع الناس سواسية لا يفضل بعضهم بعضا إلا بالتقوى، والأمة نظام كوني يشمل حتى غير المؤمنين من الناس. وهو نظام سلام، سلام إسلامي، منفتح أبداً أمام جميع الأفراد والجماعات الذين يؤمنون بمبدأ الإقناع والاقتناع بالحقيقة، ويبحثون عن نظام عالمي كله سلم وسلام.

وبالإمكان القول إجمالاً: إن عقيدة التوحيد —وما تقتضيه من إيمان بوحدة الخلق والدين وما تفترضه من اعتراف بالاختلاف والتنوع–كانت الفيصل الأساس في تحقيق السلم والسلام واحترام حقوق الإنسان، وتحقيق التعاون الموصوف بالبر والتقوى بين البشرية جمعاء. إن عقيدة التوحيد ثمرتها الأساسية أمن وسلام، في جوانب الحياة كلها الفردية والجماعية والعامة.

ب– مبدأ استخلاف الناس كافة، وسلام العالم:

وهذا ما يبدو من خلال ما ركز عليه الإسلام من استخلاف الله البشر كل البشر في الأرض. فجميع البشر الذين تعاقبوا وسيتعاقبون عبر العهود والأجيال واختلاف الأزمان هم خلفاء الله في أرضه، وإليهم جميعاً تتوجه الدعوة المحمدية في خطابي القرآن الكريم والسنة النبوية.

إذ ليس في الخطاب القرآني مستثنيات وإنما الجميع مسلم وغير مسلم مكلف بإعمار الكون ومسؤولاً عن رعاية الأرض والحفاظ على خيراتها.

الأمر الذي لا يتحقق إلا بتلاقي البشرية على سبيل معتدل من التآخي والتعاون والتعايش السلمي؛ فالإنسان مدعو من منطلق الخلافة إلى تسخير الكون والكائنات لما فيه النفع: نفعه ونفع الكون والكائنات من حوله، ومدعو إلى العمل والسير في دروب الكون ومناكبه، ومدعو إلى العلم بأسراره وتسخير هذا العلم لما فيه الخير،[1]

[1] عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، م.س، ص ١٣٠.

والصلاح وسعادة البشرية، بعيدا عن كل ما يتنافى وإعمار الكون ورعايته، من فساد، واقتتال، وإهلاك للحرث والنسل.

ومبدأ الاستخلاف في القرآن الكريم يرتبط بمفاهيم كلية، وقواعد عامة هي بمثابة الشروط الأساسية لقيام الإنسان بمهمته في خلافة الله على الأرض، وهي في الآن نفسه داعمة لفرص التعايش السلمي بين الأفراد والجماعات والشعوب، **ونذكر منها:**

١- **التكريم:** لقد كرم الله تعالى الإنسان، واعتبره الكائن المفضل على سائر" ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [1].

فالله عز وجل كرم بني آدم كلهم، ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا، وهو تكريم تشريف ونفي نقصان، ينضاف إلى هذه المظاهر من تكريم الله عز وجل للإنسان، خلقه سبحانه للإنسان في أحسن تقويم، وتزويده بالعقل كأداة للتمييز بين الخير والشر. وعليه لقد انطلق القرآن في مفهومه للكرامة الإنسانية من نظرته الصحيحة إلى الواقع والحقيقة والعالم والزمان والمكان والتاريخ البشري فكان مفهوم القرآن للكرامة الإنسانية متسماً بخاصيتي الشمول والعموم، فالتكريم هنا، هو تكريم مطلق المعنى يشمل البشر كافة في الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالإنسان في نظر القرآن مكرم، بصرف النظر عن أصله وفصله ودينه وعقيدته، مركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعية، فقد خلقه الله مكرماً، ولا يملك أحد أن يجرده من كرامته التي أودعها في جبلته وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى فالكرامة البشرية حق مشاع

[1] سورة الإسراء، الآية ٧٠.

يتمتع به الجميع من دون استثناء"[1]. ومن هذا المنطلق لابد أن تصاغ العلائق بين الناس. وتتشعب الأسرة الإنسانية وتسيح في أرجاء الأرض قصد التعارف والتعايش في جو من السلم والسلام.

٢- **التسخير**: وهو مرتبط منطقيا بمفهوم التكريم، فلاستكمال وتوفير كل الضمانات والشروط الأساسية لتحقيق مهمة الاستخلاف على أتم وجه وأكمل صورة وفق المرسوم قرآنيا، سخر الله عز وجل الكون لقدرة الإنسان، وجعل كل ماعدا الإنسان في خدمة الإنسان. وهذا ما انتظمت آيات قرآنية عديدة في إثباته وتأكيده ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠] [2] .

فالله عز وجل قد سخر للإنسان كل ما في السماوات والأرض، والبحر والبر ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا تحصوها﴾[3].

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾[4].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[5].

---

[1] عبد العزيز عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق ط، الأولى، ١٤١٩/١٩٩٨م، ص ١٢٦-١٢٧ بتصرف يسير.

[2] سورة لقمان، الآية ٢٠.

[3] سورة ابراهيم، الآيات : ٣٢-٣٤.

[4] سورة النحل، الآية ١٢.

فإذا كان هذا هو معنى الاستخلاف في القرآن الكريم فإن ما يتميز به المنهج القرآني في مجال التعايش السلمي، وفي علاقته بالمخالف في الدين والنقيض في العقيدة—وفق مبدأ الاستخلاف- هو جعله الاستخلاف واجباً منوطاً بالإنسان عامة، ويتجلى هذا من خلال دأب القرآن في معرض تكليفه بالخلافة على مخاطبة الناس جماعة "هو الذي جعلكم خلائف في الارض"[٥] فليس في الخطاب القرآني مستثنيات وإنما الجميع مسلم وغير مسلم مكلف بإعمار الكون ومسؤولاً عن رعاية الأرض والحفاظ على خيراتها ، الأمر الذي لا يتحقق إلا بتلاقي البشرية على سبيل معتدل من التآخي والتعاون والتعايش السلمي فالإنسان "مدعو من منطلق الخلافة إلى تسخير الكون والكائنات لما فيه النفع : نفعه ونفع الكون والكائنات من حوله، ومدعو إلى العمل والسير في دروب الكون ومناكبه، ومدعو إلى العلم بأسراره وتسخير هذا العلم لما فيه الخير"[٢] والصلاح وسعادة البشرية، بعيداً عن كل ما يتنافى وإعمار الكون ورعايته، من فساد واقتتال وإهلاك للحرث والنسل.

فهذه هي فلسفة مبدأ الاستخلاف القرآني، وهذه هي طبيعة تأثيره الحضاري في العالم، وتلك هي رؤيته لطبيعة العلاقة مع الآخر، فالناس كلهم مستخلفون في الأرض والناس كلهم مكرمون ومشرفون لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بما يقدم الإنسان من عمل صالح لخير الإنسان وخير البشرية جمعاء.

---

[٥] سورة الحج، الآية ٦٥.

[١] سورة فاطر، الآية ٣٩.

[٢] عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، م.س.، ص١٣٠.

ت- مبدأ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار الإيجابي، سبيلاً للتعايش السلمي.

إن عالمية الإسلام تقتضي فتح قنوات الحوار مع الآخر، ودعوته إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فالحوار يعتبر سلاحاً "من أسلحة المجال الثقافي والمعركة الحضارية ووسيلة ناجعة من وسائل الدفاع عن المصالح العليا للأمة، وشرح قضاياها ولإبراز اهتماماتها وتبليغ رسالتها، وإسماع صوتها وإظهار حقيقتها، وجلب الأنصار لها، وجلب المنافع لها، ودرء المفاسد عنها[1].

الأمر الذي يفسر تشجيع الإسلام على الحوار والدعوة بالتي هي أحسن والانفتاح على الآخر والاستفادة من خبراته سعيا لإقامة علاقات التعاون العملي والتعارف الفعلي، المؤديان إلى تحقيق التعايش السلمي واستتاب الأمن بين مختلف مكونات المجتمع العالمي.

وتنشأ مركزية هذا المبدأ في القرآن من المقاصد العليا للدين الإسلامي الهادفة إلى تحقيق التعارف بين الناس القائم على الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورة البعيدة عن كل أشكال التعصب، والكراهية، وأنواع القهر ،والاستبداد. "فالحوار في القرآن ليس ملحقا أو هامشا نضيفه إلى مفردات وصياغات علم الكلام أو الفقه أو السياسة ، بداهة فإنه ليس تكتيكاً براغماتياً أو حيلة تقتضيها ظروف تراجع قسري، كما أن مصطلح الإستراتيجية لا يغطي تماما مقاصد الحوار وغاياته ناهيك بقصوره عن الإحاطة بأصله ومبتدأه الحوار [قرآنياً] هو في صلب العقيدة وهو في أساس الحياة الإنسانية الفطرية"[2].

---

[1] التوتجري، الحوار من أجل التعايش،م.س،ص ١٣٠.

[2] سعود المولى، الحوار الإسلامي – المسيحي ضرورة المغامرة، در المنهل اللبناني، ط، الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٢.

واعتبار الحوار دليلا على عالمية الإسلام يجد له سندا قويا في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ[1].

فكان من أهم شروط الدعوة إلى الله: الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن وسلك أحسن السبل في إيصالها واختيار أرقى الوسائل في تبليغها في غير إكراه أو تسلط أو فرض بالقوة. ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ[2] بل إن الالتزام بضوابط وأخلاقيات الحوار في القرآن، واجب حتى مع المشركين وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[3].

قال القرطبي في تفسيره للآية ١٠٨ من سورة الأنعام: "حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، ففي هذه الآية ضرب من الموادعة ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع"[4]. ليتوجب ارتباط الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في جميع الأحوال لجني الثمار المرجوة من الحوار، ذلك إن ما يدرك بالحوار لا يمكن إدراكه بالعنف فـ "الإسلام ما دخل بلداً إلا صار ذا المقام الأول من الديانات، والسبب في ذلك بلا شك الدعوة وقوامها الحوار.

---

[1] سورة المائدة، الآية٦٧.

[2] سورة النحل، الآية ١٢٥.

[3] سورة الأنعام، الآية١٠٨.

[4] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤١٣هـ/٢٠٠٢م.ج٤، ص٥٦.

إن ما يعانيه العالم من آثار العنف والتعصب والتطرف التي تكتوي البشرية بويلاتها، ولادة طبيعية ونتيجة عادية لتغليب منطق الصراع على مبدأ الحوار والدعوة بالتي هي أحسن.

ولا سبيل أمام الإنسانية للخروج من أزمتها الخانقة ومأزقها الوجودي سوى الحوار والحوار وحده ولا شيء غير الحوار، لأن الحوار يسهم بشكل كبير جدا في التعايش، ويحقق التعاون من منطلق القبول بالآخر والاعتراف به في إطار احترام مبدأ الكرامة الإنسانية الذي ينبذ كل أشكال العنف، والتطرف والإقصاء والإلغاء. وبهذا فعالمية الإسلام عالمية رحمة وإخاء وتبادل عادل للمنافع وسلام بين بني البشر، جميع البشر على اختلافهم...

ث- مبدأ التنوع والاختلاف الإنساني؛مدعاة للتعايش السلمي:

إن التنوع وبالتالي الاختلاف حقيقة كونية وواقع إنساني من الخصائص الواضحة في تكوين الاجتماع البشري. والقرآن الكريم يحدثنا عن الاختلاف والتنوع في أكثر من خطاب، ووفق أشد الصيغ واقعية ووضوحاً ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [1]. ﴿ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [2] ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [3] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ

---

[1] سورة المائدة، الآية ٤٨.

[2] سورة الروم، الآيتان ٢٠-٢١.

[3] سورة البقرة، الآية ٢٥٣.

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [1]. فقد شاء الله ألا يكون الناس أمة واحدة، فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين. لهذا فإن أمر التنوع في الخطاب القرآني لا يتوقف عند هذا الحد، بل جاءت نصوص أخرى تؤكد عليه في أمر انقسام البشر إلى مجموعات بشرية تشكلت في أمم هي القبائل والشعوب، أي هي التشكيلات البشرية التي يوجهها النص القرآني إلى التعارف من أجل اللقاء، لا التصادم من أجل الجفاء والتناكر﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [2] "[3] .

من هنا فليس غريباً اختلاف البشر إذ إن اختلافهم فطرة إلهية وسنة ربانية في الخلق ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [4]. ويوضح القرآن الكريم أن التنوع الإنساني موجه نحو (التعارف) ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [5]. والتعارف يقابل التناكر، قال تعالى :"فعرفهم وهم له منكرون"[6] والتعارف يؤدي إلى التآلف، كما يؤدي التناكر إلى التخالف والاختلاف، وفي الحديث :"الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"[7] فالتنوع يؤدي إلى التعارف والتعارف يؤدي إلى التآلف والتآلف يؤدي إلى التآخي والتآخي يؤدي إلى التعاون على

---

[1] سورة هود، الآيتان ١١٨-١١٩.

[2] سورة الحجرات، الآية ١٣.

[3] أسعد السحمراني، الإسلام والآخر، دار النفائس، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٢.

[4] سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

[5] سورة الحجرات، الأية ١٣.

[6] سورة يوسف، الآية ٥٨.

[7] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ، رقم الحديث ٣١٥٨..

الفعل الحضاري الموصوف بالبر والتقوى.

ولهذا كانت الغاية من تقسيم الناس إلى شعوب وقبائل ومجتمعات واختلافهم، أن يحترم بعضهم بعضا، ويعترف بعضهم بحقوق بعض، في إطار الكرامة الإنسانية المكفولة للجميع ومن "أبرز مصاديق تكريم الكائن الإنساني "ولقد كرمنا بني آدم" وفق القرآن الكريم تكمن في أن حريته وبالتالي اختياراته المشتقة من قواعد الحرية نفسها لا تشكل سببا لحرمانه من حقوقه الطبيعية المكرسة ومنها حقه في أن يكون مختلفاً.

إن ما يميز الخطاب القرآني في دعوته إلى القبول بمبدأ التنوع والاختلاف هو "رده إلى أساس الخلق كما في قوله تعالى:"ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة" وهو أساس يرتبط بمبدأ حرية الكائن الإنساني ومسؤوليته، حيث لا مسؤولية بدون حرية ولا حرية للكائن الإنساني فرداً أو جماعة، دون امتلاك حق الاختلاف والتنوع.

لقد كرس –إذا– القرآن الكريم مبدأ التنوع والاختلاف لما يسهم به هذا المبدأ في إثراء التجربة الإنسانية وإغنائها، إذ الاختلاف –هنا– اختلاف تنوع وتكامل لا اختلاف تضاد وتنابذ، وكذا لما يوفره هذا المبدأ من سبل للتعارف المؤدي إلى التعاون المحقق للتعايش السلمي ف "القرآن الكريم لا يشترط للسلام البشري نفي حق التعدد والاختلاف، بل على العكس من ذلك فإنه يشترط للسلام البشري الاعتراف بهذا الحق وحمايته ومن تم التعارف بين الجماعات المختلفة، أي الاعتراف المتبادل بينهما، والتزام مبدأ الحوار فيما يختلفون عليه.

ففي القرآن يتحول التنوع والاختلاف من نقمة إلى نعمة، وعطاء وإغناء للمسيرة الإنسانية، ذلك أن الناس منحدرون من أصل واحد، وأن سنة التنوع هي سنة الخلق والاختلاف المناخي والجغرافي والديموغرافي والقومي والعرقي والديني، هو الطريق إلى التعاون والتكامل والتعارف والتحاور والتعايش، إذ

يستحيل عقلاً وواقعاً أن يكون البشر بطبائعهم نسخة مكررة عن بعضهم، عندها تستحيل الحياة وتتعطل الإرادات ويتوقف العمران

ثالثاً: هدايات القرآن الكريم في التعايش السلمي:

هذا الفهم السلمي التعارفي لطبيعة علاقة جماعة المسلمين بغيرها من الأمم؛ يقوم وينبني على ست ثوابت قيمية تدعو كلها إلى التعايش السلمي والتواصل الفعلي والتعاون العملي، بين المسلمين وغيرهم من الأمم،

والقيم الستة التي هي هدايات قرآنية في مجال التعايش السلمي؛ تتمثل في: المساواة، والكرامة، والرحمة، والعدالة ،والتعارف ،والخير العام.

١- **المساواة**؛ التي تستند إلى حقيقة "النفس الواحدة" التي خلقها الله، والتي تعني المساواة بين الناس من سائر الوجوه، ترتبا على أنها تعني أنهم جميعا مخلوقات لله. وهذا يقتضي من جانب المؤمن -نظرا وعملا- الابتعاد عن التمييز، والابتعاد عن الكبرياء، واعتبار حصول الأمرين كبائر فظيعة، قد توصل إلى الكفر والفساد والإفساد إن صارت قيما أو مبادئ في النظر، وليس مجرد سلوكات مخطئة"[1].

وفي إقرار القرآن لمبدأ المساواة بهذا الشكل؛ إلغاء لكل عوامل التفرقة بين الناس، فاللون والجنس والمعتقد والحظوة الاجتماعية لا مكان لها في منطق القرآن، ولا تؤثر في إنسانية الإنسان، لهذا يعد مبدأ المساواة من أهم المبادئ القرآنية التي تقوم عليها النظرية الإسلامية في مجال العلاقة مع الآخر، فبموجب هذا المبدأ يتوجب على المسلم التقيد بضوابط وقيم القرآن السامية في تعامله مع غيره من أتباع الأديان الأخرى، فلا يحقره ولا يعتدي عليه في ماله أو بدنه

[1] رضوان السيد، منظومة القيم والحياة الأخلاقية في الرؤية الإسلامية، مجلة التفاهم، ص١٤

أو عرضه، ولا يظلمه قال صلى الله عليه وسلم "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه (خصمه) يوم القيامة" [1].

إن أزمة العالم الناجمة عن غياب السلام، لا يمكن تجاوزها دون إقرار مبدأ المساواة كما حدده القرآن الكريم، الذي بموجبه تنمحي كل الفوارق العرقية والدينية واللغوية والجغرافية، ويجعل من الاختلاف والتنوع سببا للوحدة الإنسانية ومدعاة لتحقيق الاتصال والتعارف والتآلف بين البشر جميعا، وليس سببا في النزاع والتقاتل.

فالمساواة في القرآن حق لازم للناس بغض النظر عن دينهم أو جنسهم أو لونهم ، وبهذا لا يسمح القرآن بتفوق جنس على جنس أو استعلاء شعب على شعب أو قوم على قوم.

٢- **الكـــــــرامة**:وتتصل قيمة الكرامة بقيمة المساواة بشكل وثيق، ذلك أن الكرامة كما يعرضها القرآن هي قيمة وجودية، تتعلق بفطرة الإنسان واختصاص الله له بالعقل والاستخلاف في العالم، وتسخير إمكانيات هذا العالم له، وإقداره على الولاية فيه[٢].

لقد كرم الله تعالى الإنسان، واعتبره الكائن المفضل على سائر المخلوقات "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا (بالتجارات، رقم الحديث، ١.٣٠٥٢)

[٢] رضوان السيد، القرآن والتاريخ: الرؤية القرآنية في الأمم والحضارات، م. التفاهم، السنة التاسعة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ع، الثاني والثلاثون، ص١٦

على كثير ممن خلقنا تفضيلا"[١]. فالله عز وجل كرم بني آدم كلهم، ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً.

فالكرامة الإنسانية لكل إنسان، ولا تفاضل بين الناس –بالألوان فالأبيض والأسود على سواء– إلا بالتقوى. ويروى في ذلك أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عير آخر بسواد أمه فقال له: يا ابن السوداء، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال: لقد طفا الكيل ثلاث مرات، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل[٢]، ولا فرق بين دين ودين في تكريم الإنسان حيا أو ميتا، يروى أنه مرت جنازة يهودي فوقف لها النبي صلى الله عليه وسلم فقال له بعض أصحابه: إنها جنازة يهودي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أليست نفسا؟[٣]. مما يؤكد أن الكرامة الانسانية لكل إنسان، ولا تفاضل بين الناس في ذلك، فالتكريم تكريم مطلق المعنى يشمل البشر كافة.

٣- **الرحمـــــــة:** وفي القرآن الكريم أن الله سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وجعلها القيمة العليا في تعامل البشر بعضهم مع بعض، وهذا يعني أن الرحمة والنعمة من جانب الله تجاه الإنسان تنعكسان علاقات مودة ورحمة وسكينة في التعامل بين البشر، أو ينبغي أن يكون الأمر كذلك. بل إن القرآن يعد النبي والإسلام رحمة للناس ينبغي أن تتجلى في حياتهم جميعا[٤]: "﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ لذا يجعل القرآن الكريم "الرحمة" هي الصبغة العامة في تعامل أهل دار الإسلام مع الآخر، فالله عز وجل ما يلبث يؤكد في قرآنه وجوب

---

[١] سورة الإسراء، الآية ٧٠.

[٢] البيهقي، شعب الإيمان، الرابع والثلاثون، باب في حفظ اللسان، فصل ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء وخصوصا بالجاهلية، رقم الحديث ٥١٣٥.

[٣] صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، رقم الحديث ١٢٥٠.

[٤] رضوان السيد، القرآن والتاريخ: الرؤية القرآنية في الأمم والحضارات، م.س، ص ١٧٤)

اصطباغ أسلوب التعامل مع الآخر بالرحمة الإلهية، ف"الأصل أن الموجودات على اختلافها، يرحم بعضها بعضاً، تخلقاً باسم الرحمن من أسمائه تعالى "[١]. ولأن الله عز وجل رب المخلوقات جميعها فرحمته شاملة لكل الناس، إذ لا تخص أناسا دون سواهم، بل "إنه ما من شيء إلا وهو أثر من آثار الرحمة الإلهية"[٢] "ورحمتي وسعت كل شيء"[٣] "ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً"[٤] "فقل ربكم ذو رحمة واسعة"[٥] "إن الله بالناس لرؤوف رحيم"[٦] "سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة"[٧].

إن الرحمة، بحسب منطوق الآيات أعلاه –"ليست مطلوبة بالمسلمين وحدهم، ولكنها للآدميين جميعاً، "ارحموا أهل الارض يرحمكم من في السماء"[٨] بل مطلوبة بـ "كل ذات كبد رطبة"[٩].

٤- **التعـــــارف:** وتتصل بقيمة الرحمة قيمة التعارف؛ "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا". وإذا كان المفسرون المسلمون قديماً، والمفكرون حديثاً ما ألحقوا التعارف بالقيم الأخرى لاعتقادهم

---

[١] طه عبد الرحمان، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط، الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٢٤٤.

[٢] نفسه، ص ٢٤٦.

[٣] سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

[٤] سورة غافر، الآية ٧.

[٥] سورة الأنعام، الآية ١٤٧.

[٦] سورة الحج، الآية ٦٥.

[٧] سورة الأنعام، الآية ٥٤.

[٨] سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الرحمة، رقم الحديث ١٩٢٤

[٩] صحيح البخاري، كتاب المساقاة الشرب، باب فضل سقي الماء، رقم الحديث ٢٢٣٤

أنها نصيحة أو ندب لظهورها مرة واحدة، فإن القراءة الأعمق للقرآن تصل التعارف بالمعروف، وهو مفهوم يرد في القرآن مئات المرات.

والرحمة من جانب الإنسان تجاه أخيه الإنسان قد تفهم بطريقة فردية، أما التعارف والمعروف، فلا يمكن فهمهما إلا بطريقة شاملة، أي: في العلاقات بين البشر على اختلاف أديانهم وثقافتهم وأخلاقهم.

فالآيات القرآنية تفترض قواسم مشتركة أساسية تتمثل في المساواة والكرامة والمعروف أو التعارف، وهي القيم والمعاني التي ينبغي أن تسود في العلاقات بين الأمم ذاتها [1].

ومقصد العملية التعارفية القرآنية وغايتها الكبرى تحقيق الخيرات "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ" والخير مفهوم يتسم بالعمومية والشمولية تتطابق حدوده لدى رضوان السيد مع مفهوم المعروف.

وحسبما يلحظ فإن «القرآن يدعو المسلمين للتنافس مع غيرهم في استباق الخيرات دونما تحديد لتلك الخيرات باعتبارها معروفة ومشتركة بين بني البشر ولا ينفرد بها المسلمون معرفة وتحديداً» وبالتالي فليس من حق المسلمين الانفراد بتحديد القيم التي يشاركون فيها البشرية حيث أنهم ينفصلون بهذا عن بقية البشر وتتعمق لديهم أوهام الخصوصية [2].

٥- **العدالة**:أما قيمة العدالة فهي ظاهرة الحضور في الخطاب القرآني، وهي تعني الاستقامة في النظر والعمل، والاستقامة والتوازن في العلاقات بين الناس. والقرآن يقرر أن الله سبحانه لا يريد ظلماً للعباد، بيد أن قيمة العدل هي في الأعم الأغلب في العلاقات بين الأفراد، وفي العلاقات بين الأمم. وهي ضرورية

---

[1] رضوان السيد، القرآن والتاريخ: الرؤية القرآنية في الأمم والحضارات، م.س، ص١٨.

[2] نفسه، ص١٨.

حينما يتعلق الأمر بالكرامة والحقوق، وتفهم في سياق المساواة والرحمة، والتعارف عندما يتعلق الأمر بالأفراد أو العلاقات بين الأمم"[١] .

فتلازم السلام والعدل وثيق وترابط الأمن والقسط وطيد، فالعدل مفتاح السلام. إن ما يعرفه عالمنا من توتر وحروب ناجمة بالأساس عن غياب العدل، وحين نتأمل في هذا الارتباط بين السلام والعدل فلسفياً، نجد أن السلام كقيمة مطلقة لا يمكن في الواقع أن يقوم إلا على مبدأ العدل الذي يعد شرطاً لإخراج السلام من أزمته الحادة، فهو مفتاح للسلام الدائم.

٦- **الخير العام:** وخاتمة منظومة القيم القرآنية قيمة الخير العام، ومفرد الخير هو الأكثر ورودا في القرآن بعد الرحمة والرحمن والرحيم، وهو يعني الأحسن والأجمل في التفكير والفعل والتصرف. والملحوظ أن القرآن يجمع خير على خيرات عندما يتعلق الأمر بالعلاقات مع الأديان والأمم الأخرى:

"فاستبقوا الخيرات" . ومن الواضح أن هذه القيمة الكبرى تتعالق وتتشابك مع بقية أجزاء المنظومة مثل: الرحمة والتعارف والعدالة [٢].

إن الخطاب القرآني يعد المنظومة القيمية هاته، مسددة إن سادت للنظرة إلى العلاقات بين الأمم والحضارات، وأنها تحتوي على الضمانات التي تحول دون الفساد والإفساد لطبيعة الإنسان وفطرته، ولعلاقات الناس بعضهم ببعض"[٣].

وعليه فهذه القواسم المشتركة التي ذكرت وغيرها، هي بمثابة أرضية ثابتة، يمكن البناء عليها من أجل علاقات قائمة على المساواة والعدل والحرية... بين دار الإسلام وغيرها من الأمم والشعوب الأخرى، والإسلام بفضل منظومته

---

[١] نفسه، ص١٨.

[٢] نفسه، ص١٨.

[٣] نفسه، ص١٨.

القيمية قادر على أن يؤدي دورا بالغ الأهمية والفعالية على مستوى نشر السلام العالمي، فهو –أي الإسلام– يعرف نفسه ليس كدين محمد؛ إنما دين الله تعالى، الذي أسسه النبي ابراهيم أصلاً، انطلاقاً من هذا الإرث المشترك يشار إلى اليهود، وكذلك إلى المسيحيين، وإلى غيرهم من أهل الملل والنحل المخالفة للإسلام.

ويشير القرآن إلى طريقة تقديم المسلمين لأي أطروحات عالمية أو نقاش جدي يهم البشرية بالقول: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [1]. ويعني ذلك فيما يعنيه؛ أن التكليف الرئيس لأهل الإسلام هو البحث عما يجمع لا ما يفرق، وتدعيم الهدايات القرآنية القيمية والعمل على نشرها. فالمنظومة القيمية في الاجتماع الإنساني قائمة على ديننا، وهي –كما بينا– حافلة بالقيم المشتركة مع سائر البشر، وتنسجم تماماً مع ما أكدناه سلفاً من هدايات قرآنية قيمية.

على سبيل الختم: ريادة المملكة العربية السعودية في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي

وختاماً: نؤكد أن موضوع التعايش السلمي، يحظى في زمننا المعاصر باهتمام خاص، يتجلى هذا الاهتمام فيما أكدته منظمة الأمم المتحدة على هامش بدء أعمال المنتدى العالمي التاسع للتحالف، لسنة ٢٠٢٢، بالمغرب، والذي كان تحت عنوان (**نحو تحالف السلام: العيش معاً كإنسانية واحدة**) أنه من المهم في هذه اللحظة الانتقالية للبشرية الحفاظ على الاحترام المتبادل والوحدة والتضامن، وأن إمكانية العيش معًا، حقيقة واقعة، وليس "يوتوبيا" .

[1] سورة الحجرات، الآية ١٣.

وإذ كنا نشترك في ضرورة الحاجة إلى التعايش السلمي، لما أصبح يكتنف الواقع العالمي من مظاهر العنف والتعصب والتطرف والإرهاب، المهددة للتعايش السلمي.

فإننا نؤكد على أهمية ودور المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، في الدعوة للحوار بين أتباع الأديان والثقافات؛ لنشر ثقافة التعايش والتعاون والتفاهم والتسامح، ونشر السلام ودعم الأعمال الإنسانية والإغاثية في العالم جنبًا إلى جنب مع جهوده في استقرار الأمم والشعوب وحمايتها من التطرف، والإرهاب على مختلف المستويات الإقليمية والدولية، وهي من أسس ثوابت المملكة على مختلف الأصعدة، ومن خلال مشاركتها وتأسيسها للعديد من المؤسسات الإقليمية والدولية ومنها:

- مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية.
- ومركز الملك سلمان العالمي.
- والمركز العالمي لمكافحة التطرف والإرهاب (اعتدال) .
- ومركز الحرب الالكترونية والجهود العظيمة التي تقوم بها رابطة العالم الإسلامي.

ولقد كان إسهام المملكة العربية السعودية في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي من أجل استقرار المجتمع الإنساني، محط تنويه عدد من كبار القيادات الدينية وصانعي السياسات في ختام العديد من الفعاليات المنظمة بالمملكة، كما أكدت المملكة من خلال مشاركة ممثليها بالأمم المتحدة في مرات عديدة،

على أن منهج المملكة الثابت، والواضح في علاج المشكلات، هو الحوار والدعوة للتعايش الإنساني.

وتنظر المملكة للقيم الإسلامية السمحة كنهجٍ لتعزيز الأمن والاستقرار والتسامح بين كل المجتمعات الإنسانية بمختلف جنسياتهم وانتماءاتهم السياسية والثقافية ليكونوا نسيجاً واحداً ضد كل ما يهدّد تلاحمهم وتماسكهم، حيث كان لمؤسسات المملكة، وبخاصة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني دور رئيس في تعزيز هذه المفاهيم وترسيخها وجعلها جزءاً أصيلاً من ثقافة المجتمع. **والمركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف "اعتدال"**، الذي يعمل على تحجيم خطاب الكراهية ومحاصرة دعاته من خلال تجفيف منابع الكراهية في وسائل الإعلام والشبكات الاجتماعية، وتشجيع الناس على الإبلاغ عن جرائم الكراهية، وتعزيز دور التربية والتعليم تجاه مكافحة خطاب الكراهية ودعم ثقافة التعايش الإنساني، وإطلاق مبادرات أخلاقية تحفّز على نبذ الكراهية ونشر قيم الاعتدال. **ومركز الملك عبد الله بن عبد العزيز العالمي للحوار** بين أتباع الأديان والثقافات، الذي يقوم ببذل الجهود الكبيرة نحو تعزيز ثقافة الحوار وترسيخ التعايش واحترام التنوع وقبول التعددية ودعم المواطنة المشتركة بين الدول.

في هذه الظروف نستطيع أن نختم محاولتنا هذه قائلين:

بالنظر إلى تطلع البشرية لميثاق في التعايش السلمي، فإننا نؤمل أن تجد في هدايات القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه، وقيم رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام أنى توجهت قاعدة لصياغة ذلك؛لأن أدنى ما يقال في قيم وأخلاق القرآن الكريم: **إنها تكفي نفسها بنفسها فهي أخلاق متكاملة، وتسامحه مع المخالفين أيا كانوا تسامحاً كاملاً.**